عفاف الحجاب

أبو الحسن بن محمد الفقيه

مصدر هذه المادة :







بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضـــلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله...

أما بعد:

فإن أعظم مظاهر العفاف في الأخت المسلمة هو الحجاب، فهو ينطوي على كل مفردات الطهارة والحياء.. ويشمل كـــل معـــاني الفضيلة والنقاء.. وهل العفاف إلا الحجاب!

فليس هو بعادة أملتها ظـــروف الحيـــاة.. ولا تـــراث يميـــز المجتمعات.. وإنما هو عبادة يُتقرب بها إلى الله.. ويُبتغي به وجهه.. لا تهزها عاصفة التيارات.. ولا يزحزحها صراع الحضارات لأنهـــا جزء من الدين.. يحفظ على المسلمين عفتهم.. ويحرس فضيلتهم.. ويحمي أعراضهم!

ولأن الحجاب عبادة واجبة على نساء المسلمين.. فإنها لا تقبل التغيير أو التبديل لأنها ثبتت بكلمات الله : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِـــيُّ قُـــلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِـــنْ جَلَـــابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ ومَـــا ثبت بكلمات الله لا يمكن أن يبدل..لأن كلام الله لا يبدل... ﴿**لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾

أبو الحسن بن محمد الفقيه

Abolhasan@tftmail.fr

عفة الحجاب

حينما ندرك أن الحجاب هو رمز العفة والطهارة.. فلا بد أننا ندرك أيضا أن الميل عن الحجاب هو ميل عن العفة.. وإيذان بحلول الفواجع والأذى! فتمام العفة مع تمام الحجاب!.

وتأملي أختي المسلمة في قول الله جل وعلا : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ففي الآية ما يدل دلالة واضحة أن العفة تُعرف بالحجاب.. وأن المسلمة العفيفة الحيية إنما تعرف بكمال حجابها، وكمال تسترها كما شرع الله وأمر!.

فهذه الآية نص على ستر الوجه وتغطيته، ولأن من تَسْتُرُ وجهها لا يطمع فيها طامع بالكشف عن باقي بدلها وعورتها المغلظة، فصار في كشف الحجاب عن الوجه تعريض لها بالأذى من السفهاء، فدل هذا التعليل على فرض الحجاب على نساء المؤمنين لجميع البدن والزينة بالجلباب، وذلك حتى يعرفن بالعفة، وأهن مستورات محجبات بعيدات عن أهل الريب والخنا، وحتى لا يفتتن ولا يفتن غيرهن فلا يؤذين.

ومعلوم أن المرأة إذا كانت غاية في الستر والانضباط، لم يقدم عليها من في قلبه مرض، وكفت عنها الأعين الخائنة بخلاف المتبرجة المنتشرة الباذلة لوجهها، فإنها مطموع بها.

واعلم أن الستر بالجلباب، وهو ستر النساء العفيفات يقتضي

أن يكون الجلباب على الرأس لا على الكتفين.

ويقتضي أن لا يكون الجلباب – العباءة – زينة في نفسه، ولا مضافا إليه ما يزينه من نقش أو تطريز، ولا ما يلفت النظر إليـــه، وإلا كان نقضا لمقصود الشارع من إخفاء البدن والزينة، وتغطيتها عن عيون الأجانب عنها) [حراسة الفضيلة للعلامة بكر أبو زيد ص ٥٥ – ٥٦].

إن العفاف المنشود من الحجاب لا يمكن أن تظفر به الأخـــت المسلمة إلا إذا أدركت جيداً المفهوم الشامل للحجاب.. وعرفـــت مدلوله ومعناه.. وما يُقصد منه!! فحتى لو أدنت المسلمة جلبابهـــا كما أمر الله ! لكنها لم تقر في بيتها... وأدمنت الخروج صخبا في الشوارع والأسواق.. فإنها ليست محجبة.. أو متساهلة بالحجاب.. بل لأنها تعرض ذاتها وحجابها للفتنة بخروجها الذي لا ضرورة له!

ولذا فإن عفة الحجاب أشمل من مجرد لبس العباءة.. إنها الحـــد الفاصل بين الفضيلة وما يخدشها.. سواء كان ما يخدشها : تبرج... أو خروج.. أو كلام.. أو رفقة سيئة أو غير ذلـــك مـــن قـــوادح العفاف.

فالأخت العفيفة لا تبارح بيتها إلا لحاجة تطلبـــها.. وذلـــك حفاظا على عفتها وصونا لعرضها.. ومن النساء من (تخرج متطيبة بطيب قوي الرائحة يفتن كل من في قلبه مرض من الرجال وربمـــا خلع ثياب الحياء وصار يلاحقها ويغازلها، تخرج من بيتها تمشي في السوق مشيا قويا كما يمشي أقوى الرجال وأشباههم كأنما تريد أن

يعرف الناس قوتها ونشاطها وتمشي كذلك في السوق مع صاحبة لها تمازحها وتضاحكها بصوت مسموع وربما تدافعها بتدافع منظور، وتقف على صاحب الدكان تبايعه، وقد كشفت عن يديها، وربما عن ذراعيها، وربما تمازحه، أو يمازحها، أو يضحك معها، إلى غير ذلك مما يفعله بعض النساء من أسباب الفتنة والخطر العظيم والسلوك الشاذ الخارج عن توجيهات الإسلام، وعن طريق أمة الإسلام.

يقول الله عز وجل لنساء نبيه ﷺ وهن القدوة، وهن أعف النساء وأكرمهن وأرفعهن قدرا. يقول الله لهن : ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ**﴾ [نصائح وتوجيهات للبيوت ص٣١].

ولذلك كانت البيوت من الحجاب والواجب في حق النساء.. فكما أن العباءة تحجب العيون الأجنبية عن النظر إلى النساء فكذلك البيوت تحجبها! ولا يعدل عن حجاب البيوت إلى غيره إلا لحاجة داعية!

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «**المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون من رحمة ربها وهي في قعر بيتها**» [رواه الترمذي].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : «المرأة يجب أن تُصان وتُحفظ بما لا يجب مثله في الرجل، ولهذا خصت بالاحتجاب وترك إبداء الزينة، وترك التبرج، فيجب في حقها التستر باللباس

والبيوت ما لا يجب في حق الرجل، لأن ظهورها للرجال سبب الفتنة، والرجال قوامون على النساء» [مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٥/٢٩٧].

إن الرجـــال النـــاظرين إلى النســـاء
مثـــلُ الســـباع تطـــوف باللحمـــانِ
إن لم تصـــن تلـــك اللحـــومَ أســـودُها
أكلـــت بـــلا عـــوضٍ ولا أثمـــانِ

إن قرار المرأة في بيتها يحميها من سموم العيون المريضة. وفتن الاختلاط.. والأنفاس العليلة.. كما يمكنها من استثمار وقتها.. وأداء مسؤولياتها الأسرية.. فهي فتاة البيت وبهجته.. وهي الزوجة.. والأم المسؤولة عن أبنائها.. كما أخبر رسول الله ﷺ : «**المرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها**» [رواه البخاري ومسلم].

أما حال خروج الأخت المسلمة لحاجة داعية، فإنها ملزمة وقتئذ بالحجاب الذي يسترها.. ويُعْلِن للناظرين عفافها ونظافتها.. وهو لن يكون كذلك إلا إذا استوفى شروطه ونعوته المبينة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وهي:

١- أن يكون ساترا لجميع بدن المرأة، لقول الله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾.

وقالت عائشة رضي الله عنها : «يرحم الله نساء المهـــاجرين الأول لما أنزل الله ﴿**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُـــوبِهِنَّ**﴾شـــققن مروطهن فاختمرن بها» [رواه البخاري].

وقال القرطبي رحمه الله : «لما كانت عادة العربيات التبـــذُّل، وكن يكشفن وجوههن كما يفعل الإماء، وكان ذلك داعيًـــا إلى نظر الرجال إليهن، وتشعب الفكر فيهن، أمـــر الله رســـوله ﷺ أن يأمرهن بإرخاء الجلابيب عليهن إذا أردن الخروج إلى حـــوائجهن» وقال رحمه الله : «والصحيح أنه [أي الجلباب] الثوب الذي يســـتر جميع البدن» [الجامع لأحكام القرآن ١٤/٢٤٣-٢٤٤].

٢- أن لا يكون الحجاب زينة في نفسه : لأن المقصود منه هو لستر الزينة، وقطع دابر الفتنة، فإذا كان الحجاب مبدياً قال تعالى : ﴿**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾، فظاهر العبـــاءة يســـتحيل إخفاؤه عقلا فهو لذلك ليس من الزينة ما دام لا يحتوي على زينـــة لافتة للنظر كالتطريز والصور والكتابات ونحو ذلك مما يعلم منه أنه زينة مثيرة.

٣- أن يكون فضفاضاً: لا يبرز بدن المرأة ولا يصفه بل فيه من الاتساع والشمول ما يستر حجمها، فعن أسامة بن زيـــد قـــال : كساني رسول الله ﷺ قبطية كثيفة كانت مما أهداها دحية الكلبي، فكسوتها امرأتي، فقال لي رسول الله ﷺ: **ما لك لا تلبس القبطية ؟** قلت : يا رسول الله، كسوتها امرأتي، فقـــال لي رســـول الله ﷺ : «**مُرْها فلتجعل تحتها غلالة إني أخاف أن تصف حجم عظامها**».

٤- أن يكون غير شفاف : فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة؛ لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**» [رواه أحمد].

قال ابن عبد البر رحمه الله « أراد ﷺ من النساء اللواتي يلبسن من الثياب الشيء الخفيف الذي يصف ولا يستر، فهن كاسيات بالاسم، عاريات في الحقيقية »

٥- أن لا يكون معطراً : لما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية**» [رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح].

٦- أن لا يشبه لباس الرجال : لقوله ﷺ : «**ليس منا من تشبه بالرجال من النساء ولا من تشبه بالنساء من الرجال**» [رواه أحمد].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل».

٧- أن لا يشبه لباس الكافرات : لعموم قول ﷺ : «**من تشبه بقوم فهو منهم**» [رواه أبو داود].

ولقوله ﷺ أيضا : «رأي رسول الله ﷺ عليَّ ثوبين معصفرين

فقال : **إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها** [رواه النسائي].

٨- أن لا يكون لباس شهرة : لقوله ﷺ : «**من لبس ثـوب شهرة في الدنيا، ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة، ثم ألهب فيـه ناراً**»[رواه أبو داود].

كيف تُخدش عفة الحجاب؟!

أمور كثيرة تهدد في الحجاب تمامه وعفته، وتغير فيـه ملامـح طهارته وجماله ونقائه.. وهذه الأمور هي ما تجعـل كـثيرًا مـن المحجبات يتساهلن بالحجاب.. ويُدخلن عليه من التطوير.. والتغيير ما يهدد العفاف.. ويعرض الحياء والفضيلة للآفات وأهـم هـذه الأمور.

١- ضعف الإيمان : فإن الإيمان بالله سبحانه ينشئ في القلـب مراقبته على كل حال.. فلا تجرؤ الجوارح على الإقدام على مخالفة أمره.. أو اقتراف نهيه! وثمرة الإيمان هذه هي ما يُثَبِّـت المسـلمة العفيفة على حجابها كما أمرها الله سبحانه.. وإن عاشت بحجابها الشرعي غريبة بين السافرات.. فهي تراقب الله وحده.. وترجـو الثواب منه وحده... وتدرك أن حجابها – مع أنه ذخـر لهـا في الآخرة – هو سر عفتها وحصن فضيلتها.. وتاج شرفها ووقارها!

ولهذا كله لا تعبأ بالمحيط حولها.. ولا تستهويها تيارات السفور بكل أشكالها!

لأنها تدرك أن حجابها مفرد من مفردات العبودية التي خلقــت لأجلها ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

-موجة الموضة والأزياء: ومن عوامل هدم العفاف في لبـــاس الأخت المسلمة ما ابتليت به الأســـواق.. وروج لـــه الفســـاق.. وفسدت به الأذواق.. وهو ما يسمونه : «بالموضة والأزياء» فهي هَمٌّ فرض نفسه على النساء... واستدرجهن إلى أحضانه.. حـــتى صرن يشغلن به في كل وقت وحين.. ودونه المـــال.. والجهـــد.. والعفاف!

وهذه الموجة العارمة.. لا تعرف حدودا للزمان أو المكان.. ولا يخجلها عرف.. أو يمنعها أصل.. فهي كالنار الملتهبة في انســـيابها الفادح... تحرق ما في طريقها.. ما دام قابلا للاحتراق!

ولذلك لم تستثن من قاموسها.. أي لباس ! فحتى الحجـــاب نفسه أصبح يخضع للقانون نفسه.. وأصبحت العباءات تحت رحمة الأذواق الأجنبية.. تفصلها بمقاسات لا يجيزها الدين.. ولا يحمدها العرف!

بينما تتطلع نفوس ضعيفات الإيمان للجديد. حتى ولو كـــان الجديد في الحجاب وقد جهلن أن لا جديد في الحجاب.

«إن التبرج الجديد هو الذي اصطلحوا على تسميته بالحجاب العصري» وهو وإن كان مخلاً من الجملة بشروط الحجاب الشرعي إلا أنه لا يصل إلى درجة العُري الفاضح، لكنه في النهاية يســـمى تبرجاً وهو تعبير عن مرحلة انتقال لما هو شر منه، فأعداء العفـــاف

جعلوه حلا وسطا تساير به المرأة المسلمة تطورات الموضة والزينة، وفي الوقت نفسه تكون بعيدة عن التبرج الصريح، ومـا هـو في الحقيقة إلا استدراج ماكر، بَيَّته دهاقنـة دور الأزيـاء والموضـة، وأباطرة الدعوة إلى السفور والانحلال، للقضـاء علـى الحجـاب الشرعي والنيل من بنات الإسلام، وجواهر المجتمع، ليسهل علـيهم النيل من المسلمين جميعا كما جرت بذلك العادة في كثير من دول المسلمين» [لاجديد في الحجاب ص٢٥].

فاحذري أختي المسلمة من هذا الاستدراج الماكر..فإن النبي ﷺ حذر من اتباع سنن الكفار.. وما موجة الموضة والأزياء إلا سـنة من سننهم.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلـوا جحر ضب لدخلتموه**» قالوا : يا رسول الله، اليهود والنصارى ؟ قال : «**فمن!**» [رواه البخاري ومسلم].

ثم إن كل فتاة تتحرى اتباع ما تمليه الموضة من ألبسة دخيلـة على الدين والعادة.. لابد لها أن تقع في اتباع من تتشبه بهن مـن الكافرات في سلوكها وأخلاقها.. وذلك يؤثر حتما على حيائهـا وعفافها..

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : «إن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسبًا وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس» [اقتضاء الصراط المسـتقيم مخالفـة

أصحاب الجحيم ص١١].

-دعاة على أبواب جهنم: وهم قتلـــة الفضـــيلة والمتواصـــون بسحق العفاف... قد سَـــخَّروا أقلامهـــم وجهـــودهم لتشـــويه الحجاب.. وتحرير المرأة – زعموا- وهـــم ينـــادون في مجلاتهـــم المشبوهة.. وقنواتهم الهابطة بحرية المرأة... وكأنهـــا تعـــيش حالـــة الاستعباد ! ويصورونها بجلبابها وكأنها ارتكبت منكرا مـــن الفعـــل وزوراً!.

وهم – كما هم – يرددون شعارات لطالما صرح بها الغرب.. فقد قالت الصليبية آنا مليجان : «ليس هناك طريقة لهدم الإســـلام أقصر مسافة من خروج المرأة المسلمة سافرة متبرجة» [همسات في أذن فتاة ص٢٢].

ويقول غلادستون وهو صليبي أيضا : «لن يستقيم حال الشرق ما لم يُرفع الحجاب عن وجه المرأة، ويغطى به القرآن»[همسات في أذن فتاة ص٢٢].

وهذه الدعوات التي يرددها الكفار وأهل الشهوة والأهواء.. إن لم تجد لها صدى في نساء المؤمنين.. فإنها أحيانا تشكل نوعا مـــن الانهزام النفسي عند ضعيفات الإيمان.. لا ســـيما إذا صـــادفت في النفس تضعضعا بسبب المعاصي والسيئات.. وتزامنت مع جموحها الشهوة والانفلات من العفاف!

ولذا فإن حرص الفتاة على عفاف نفسها وحجابها يتطلب منها ثباتاً أمام الفتن.. وتزودا من الطاعة والعبادة والتقوى.. وأن تكون

على مستوى من الوعي بما يكاد لها من طـــرف الغـــرب الحاقـــد وأذنابه ممن تشبعوا بثقافته الهابطة التي تدعو إلى الانحلال والرذيلـــة صابغة دعوتها بصبغة الحرية الشخصية.. والمساواة ونحو ذلك مـــن المسميات.

وتذكري أن هؤلاء الدعاة لو كانوا مصلحين لأحوال المـــرأة.. لنجحت دعوتهم في الغرب أولا.. ولما وصلت نســـاء الغـــرب إلى الانحطاط الأخلاقي.. والهبوط الجنسي.. حتى أصبحت كالبضاعة.. تكترى وتشترى.

وقد توالت صرخات بعض المنصفين في الغرب نفسه يشهدون بعفة الحجاب.. وطهارة الإسلام..» [همسات في أذن فتاة / عبـــد الغني فتح الله ص ٢٧].